العولمة الثقافية

النادي الأدبي بالقصيم الأحد ١٤٢٠/١٢/٢٧هـ - ٢٠٠٠/٤/٢م

العولمة :

لا تكاد تفتح صفحة في جريدة سيارة أو مجلة تصدر في الوطن العربي اليوم، كما لا تجد خبراً عن ندوة من الندوات مهما كان موضوعها اقتصادياً أو عسكرياً أو ثقافياً إلا وترى العولمة قد احتلت مساحة لا يستهان بها، ويلفت النظر كثرة الآراء المتصلة بها وكثرة المتحدثين عنها. وكيف أن العولمة قادمة، والعولمة آتية، والعولمة لا محيص عنها، والعولمة قدر الشعوب والأمم في القرن الذي أخذت سنواته الأولى تطل. ولا تكاد تسأل أحداً يغرق في الحديث عن العولمة وأهدافها ومضامينها مبشراً بها و منفراً منها إلا وتجبهك حقيقة جهله بأسس العولمة وحقيقة جهله بكنه ما يتحدث عنه. بل إن أكثر المنتدين الذين يبشرون بها، يجهلون مدلول العولمة الحقيقي، بالرغم من أنها تشغل حيزاً كبيراً من تفكيرهم، وهم دون تورع يعترفون بأنهم جاهلون بها، وأن معناها غامض بل شديد الغموض، كما أن أهدافها ومضامينها أشد غموضاً وانغلاقاً عليهم، إلا أن جهلهم هذا لا يمنعهم من الخوض فيها.

www.mtenback.com

وفي ضوء هذه الحقيقة التي لا ينكرها أحد، حقيقةِ جهل العولمة وكنهها، حتى لدى الألسن التي تلوكها وتتحدث عنها في الكتب والمقالات والندوات التي تقام لها. يثور سؤال في غاية الأهمية هو : من يملك تفسير العولمة؟ ومن يستطيع حل لغزها المحير؟ ومن سيستفيد من العولمة لغة وثقافة؟ وهل الغموض الذي يبطنها هو طبيعة في العولمة ذاتها أو هو إخفاء لها، أو هو محاولة لإعطائها دلالة مبهمة ومعنى فضفاضاً يقبل الاحتمالات الكثيرة والممكنة ويقبل حتى الاجتهاد في تفسيرها؟!. وأمام الوقع الجديد الذي خُلقت العولمة في أجوائه فإنه لا يمكن البحثُ عن دلالتها في معاجم اللغة، لأن معاجم اللغة ستحيل على معنى جامد وعندئذ لا يجد هؤلاء تعريفاً صحيحاً للعولمة ولا مدلولاً صحيحاً لأغراضها. وفي أمر مثل هذا فإن الاجتهاد في التفسير هو الذي يصلح اللجوءُ إليه، آخذين في الاعتبار تجربة التاريخ الحديث اذي نعرفه عن أرباب العولمة وفلاسفتها ومصدريها، فما عهدناه فيهم، وما بقي بذاكرتنا التاريخية من الحديث عنهم هو تسمية الأشياء بغير أسمائها، وتغليفها بغير غلافها، وتقريبُها بالأسلوب الذي يغري بالاهتمام بها والانجذاب إليها، وقدرتهم على استعمال أدبيات اللغة، فقد كانوا في الماضي يسمون احتلال الارض واستعباد البشر إعماراً، ويسون أنفسهم مستعمرين وهو اسم جميل لعمل قبيح، وكانوا يسمون الحكم بالقوة لسكان الارض الاصليين انتداباً، وهي لغة غامضة مبهمة تماماً مثل غموض العولمة. لكن جانب العولمة البين

www.mtenback.com

الذي نكاد نحسه على ثقافات الغرب غير الناطقة باللغة الإنجليزية، وقد بدأت الدول تخشى على ثقافتها، مما ستجلبه العولمة معها من غطاء عالمي، وعاؤه اللغة الإنجليزية. وهذه فرسنا وهي قطب مشارك في مسيرة العولمة الغربية بدأت تبحث عن مصدات ودفاعات تحافظ على ثقافتها الخاصة بها من الذوبان في ثقافة العولمة. وفرنسا تصلح أن تكون مثلاً لما نحن بصدده، فقد جمعت أمرها قبل سنة، وأعلنت اتحادها الفرانكفوني واختارت لهذا الاتحاد رجلاً مجرباً معروفاً مخلصاً للثقافة الفرنسية، هو بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة سابقاً، وأقامت مؤتمرها الذي نصبته فيه في شرق آسيات « هانوي» ورسمت خطة هذا الاتحاد الذي سيجمع الدول ذات الثقافة الفرنسية أو المتأثرة بالفرانكفونية كما يسمونها. وبالرغم من أن فرنسا من اقوى الدولة تأثيراً في الوقت الحاضر إلا أنها تعرف أنه لن يكون نصيبها الثقافي من العولمة مساوياً لنصيب الناطقين بالإنجليزية المحظوظة التي بقي لها سلطانها وانتشارها حتى عندما غربت شمس الإمبراطورية البريطانية عن الكرة الأرضية في أواسط هذا القرن، إلا أنه بخفوت نجمعها كان ظهور شمس الأخطبوط الأمريكي مستعملاً اللغة ذاتها والثقافة نفسها مهتماً بنشرها في الآفاق، وأمام هذا الحال بدأ العالم كله يحصن دفاعته حول ثقافاته المحلية ويتنسك بشخصيته الثقافية، وممن تنبه لذلك الخطر فرنسا نفسها وهي الشريك الأعظم في نشر العولمة الحديثة. ولا شك أن العالم الذي لا ينتمي إلى ثقافة الغرب

www.mtenback.com

وحضارته يخاطر أشد المخاطرة عندما يقبل لغة الغرب الآمرة وثقافته العامرة، ولا سيما عندما تكون لغته موجهة إلى ثقافة العالم الآخر غير الغربي. فالغرب، يقيم على مفهوم العولمة كيفيات التعامل مع الآخرين، ويظهر شيئًا من المرونة والتسامح.

وموقف فرنسا من العولمة هو موقف ثقافي لأنها استشعرت ضعفها أمام مدِّ الثقافة الإنجليزية، وتذكرت موقف اللغة الانجليزية، والحروب الطاحنة بينها وبين بريطانيا يوم كانت أمريكا مستعمرة بريطانية. وذاكرة الشعوب قوية الاسترجاع عند الخطر، فحروب أوروبا لا زال حية في ذاكرة الفرنسيين وغيرهم، من الغربيين ، ولذا وجدنا فرنسا تنضم إلى العالم المغزو كما يرى ذلك أحد الكتاب المعاصرين إذ يقول: «ما زال مصطلح العولمة، منذ إطلاقة يحدث تفاعلاته، ويترك اصداءه على ساحة الفكر في العالم العربي، حيث العولمة هي موضع للرد والنقض أو للطعن واللعن، من قبل جماعات المثقفين الذين نصبوا أنفسهم حماة للهوية والأمة والوطن من أخطار العولمة وغزو الأمر كة.

ويبدون أن الفرنسيين باتوا يشبهوننا بعض الشيء في موقفهم من العولمة، لقد ثارت ثائرتهم أثناء المحادفات حول اتفاقيات « الجات» يومها كان الفرنسيون يريدون استبعاد النتاج الفني والسينمائي من بنود الاتفاقية. أما

www.mtenback.com

الأمريكيون فكانوا على العكس من ذلك، الأمر الذي جعل مندوب الولايات المتحدة في المفاوضات يقول للفرنسيين: اتركوا لنا صناعة السينما فأنتم لا تحسنون سوى صناعة الأجبان، فكان ذلك مثار غضب السياسيين والمثقفين في فرنسا ». ثم يواصل حديثه حتى يقول : « ولا شك أنه قد طرأت تغيرات على مفاهيم الأمة والدولة والوطن، بل يمكن القول : إننا نكاد ندخل في عصر ما بعد الدولة، وهو عصر يذكرنا بما كان سائداً قبل الدولة، إذ إنه مع العولمة أخذت تسيطر قبائل من نوع حديث على مسرح الأمم، هي الشركات متعددة الجنسيات التي باتت أقوى من الدول والأوطان والأشخاص، إلا أن الفارق بينها وبين القبائل القديمة ذات الاقتصاد الرعوي أن الأخيرة كانت تحيا حياتها على سبيل الانتقال والترحال. أما القبائل الحديثة ذات الاقتصاد الناعم فإنها تعمل عبر شبكات « الإلكترون» فتنتقل منتجاتها الرمزية من الصور والرسائل والأرقام والعلامات بسرعة الضوء، غير عائبة بالحدود بين القارات والأوطان والمجتمعات، إننا إزاء تجمعات وطوائف جديدة، هويتها السوق العالمية، ووطنها يمتد إليحيث تصل منتجاتها الأثيرية (فتشمل الارض وفضاءها السبراني أو مداها الكوكبي).

بهذا المعنى تختلف الحدود بين الوطني والعالمي أو بين المحلي والكوني، تزول الفروق بين الداخل والخارج على ما لاحظ ذلك الرئيس

www.mtenback.com

الأمريكي بيل كلينتون بقوله : لأول مرة لم يعد هناك فرق بين السياسة الداخلية والخارجية، إنها نهاية الجغرافيا، وليس التاريخ، وذلك حيث تتداخل الأوطان ولا يعود هناك داخل وطني يخص أبناء وطن معين ولا يخص سواهم، إنه الوطن السبراني الآخذ بالشكل مع العصر الإلكتروني، كما نشهد التجارب في غير مكان، لم يعد بوسع الدولة الوطنية أو القومية أن تلعب نفس الدور الذي كانت تلعبه من قبل، وإلا جرى تهميشها أو تجاوزها.

بهذا المعنى لم يعد قادة الدول والأوطان زعماء أحلاف ومعسكرات بقدر ما أصبحوا زعماء اسواق وكتل اقتصادية أو مجتمعات إنتاجية، ولا يغضبن حماة القيم والخائفون على الهوية، فالحضارة العربية كانت حضارة احتل فيها السوق مركزاً ممتازاً، إذ كان الفرد يخرج من المسجد بعد أدائه الصلاة لكي يسعى في الأرض يمارس تجارته ويوسع أسواقه ومبادلاته فكان ذلك سبباً رئيساً لازدهار تلك الحضارات التي تصدرت الواجهة العالمية لقرون طوال، بقدر ما كانت حضارة تعارف، أي بقدر ما خلقت إمكانات غنية وجديدة للتبادل والتواصل بين البشر» [1].

وإذا كانت هذه الكلمة الطويلة التي نقلناها تبشر بالعولمة وترى أنها قدر لا مهرب منه في المستقبل، ولابد من قبولها شاء العالم أو أبى، وأن البحث

(١) علي حرب، عولة الأوطان، جريدة عكاظ، العدد ١١٤٦٥، ٨/ ٩/ ١٤١٨هـ، ٦/ ١/ ١٩٩٨م.

www.mtenback.com

يجب أن يكون عن كيفية المشاركة الفاعلة وليس الانضواء الاضطراري أو السلبي، وهي تقر التحول وتبحث له عن مبرر من التاريخ العربي الماضي البعيد يوم كان العرب يقودون التغيير الثقافي والاجتماعي، ويشاركون في الحياة السياسية والعسكرية، فإن وضع راي آخر لرجل عاش الثقافة الغربية التي يتحدث عنها الكاتب وتكلم اللغة ذاتها التي أشار إليها وهو غارق في الهم الثقافي اللغوي ومتخصص فيه، يجعلنا نقبل المقارنة منه أو الاستشهاد برأيه حين يحدّ الثقافة الحادثة وعولمتها في حاضرنا العربي مع تجربة اللغة في وظيفة الغزو والاستلاب الثقافي فيقول : « هي ذي الكونية الثقافية. ولكن النظام الجديد في عالميته لابد أن يتضمن مشروعاً لغوياً، إن اللغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثقافي وهي الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي وهي السيف الأمضى للاختراق النفسي، وعليها مدار كل تسلل أيديولوجي، وكل اندساس حضاري.

إن المخططين للأميمة والعولمية والكونية يعلمون يقيناً بأن اللغة هي أم المرجعيات في تشييد المعمار الحضاري، وفي بناء صرحه الثقافي وليس من عاقل يسلم باكتساء النظام العالمي الجديد ثوب الحرب الاقتصادية والثقافية إلا وهو يسلم تسليماً طوعياً، بأن ذلك النظام على تعدد أربابه، حامل لبذور الصراع المحتدم: كل على شاكلته وكل بحسب طاقته في الجانب أو بحسب أسلحته في خلخلة النفوس واحتلال الأذهان.

www.mtenback.com

إن الكونية الثقافية هي الاستعمار الجديد بلا أدنى شك ولا ارتياب، وللاستعمار نواميسه، وله كذلك منظومة تديرها قوانين ثابتة، ولابد أن يجنح الاستعمار الجديد إلى اقتفاء أثر الثوابت فيعيد إنتاج نموذجه التاريخي الأول ولا سيما في الربط الآلي بين التسلط السياسي والتسلط اللغوي، بل لابد هنا أن تصدق المقولة ولو مرة واحدة: إن التاريخ يعيد نفسه بنفسه»[1]. لا أظن أحداً يشك في إدراك الدكتور عبد السلام المسي صاحب النص السابق لأهمية الثقافة ووظيفتها الأيديولوجية ومعرفته بأركان اللعبة الثقافية، وواقع العرب والمسلمين الذين تضعهم الأقدار في مواجهة غير متكافئة مع أمم تقود العولمة الاقتصادية والثقافية بوعي واضح الأهداف لما تريد وتتجه بثقلها العالمي لتحقيق مصالحها في الوطن العربي خاصة وفي العالم الثالث عامة، وهي تحتج بقدرة فائقة لأغراضها وتتوسل بكل الوسائل المختلفة لتذليل العقبات في سبيل مدها المتقدم إلى العالم الضعيف، متخذة الطرح المغلف بسياج رقيق من المصالح والفوائد المشتركة أو التي تبدو كذلك عند النظر السريعة واللغة هي الوسيلة التي تحرك المشروع الثقافي والحضاري المعاصر، والعولمة بشقها الثقافي هي التي تواجه التحدي من ثقافات الأمم والشعوب الواقعة تحت ظل العولمة الجديدة، وإذ كانت أركان العولمة هي الجانب الاقتصادي والعسكري

(١) الدكتور عبدالسلام المسدي، اللغة ومخاطر العولمة، الرياض، ٢٧/ ١٢/ ١٤١٨هـ.

www.mtenback.com

والثقافي فإن أقوى هذه الأركان الثلاثة، وأخفاها أثراً في التسلل إلى عقول الشعوب المغزوة، واقدرها على خلخلة كيانات الأمة، هي الثقافة، حيث تسبق المرحلتين الأوليين، وتأتي تمهيداً لهما، ليكون الاستعداد تامًا والاستقبال سهلاً والإغراء ممكنًا.

وإذا كنا نلمس في الطرح الإعلامي الغالب النفس العالمي للثقافة وللاقتصاد بل حتى التقاليد والأعراف الاجتماعية، فإن التبشير بأن تكون هذه الأمور كلها موحدة أو متقاربة أشد التقارب بدا يلوح في الأفق الحديث عنه. والقبول به أصبح أمراً معقولاً لدى قطاع كبير من المثقفين، وغيرهم من اصحاب النظرة السريعة، وما يترتب على ذلك من سؤال هو: لماذا نخاف العولمة ما دامت الفرص المتاحة والحياة الاجتماعية المقبلة في كل صورها ستكون واحدة لا اختلاف فيها، وما دام الإنسان سينعم بمجتمع إنساني وبشري واحد تجمعه روابط البشرية والإنسانية؟! والإجابة لن تأتي على شيء مما سبق إلا إذا عرف المرء أن الصورة المطلوبة للعولمة الثقافية لا تجمع الثقافات والأمم والشعوب في المعمورة وتنسق بينها وتخلق منها صوراً للوحة الحياة البشرية التي سترسم على الأرض للمستقبل، وليس كل ثقافة في حاضر العولمة ستحتل مكانها الذي يناسبها في اللوحة العالمية القادمة، ولو كان الامر كذلك لرضي الناس بأن يكونوا إخوانًا متساوين ومشتركين في الحياة التي يعيشونها في

www.mtenback.com

كوكبهم الصغيرة. لكن العولمة التي تنادي اليوم بالاتحاد ونفي الفوارق الثقافية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، لا ترضى بالمشترك الثقافي، ولا الاقتصادي، ولا السياسي، ولكنها تختار مثالها المفضل سواء أكان هذا المثال عسكرياً أم سياسياً أم اقتصادياً. والنموذج الذي تريده العولمة وتختاره هو النموذج الغربي، النموذج القادم إلى العالم كله بصورة الرجل الأبيض، بثقافته الخاصة، وحضارته التي يمجدها ويعتز بها. إذن فالعولمة المطلوب هي أن تنفي ذاتك إذا كانت غير غربية متميزة على غيرها من سكان المعمورة، وأن تختار ثقافة غيركِ، وأن تلجأ إلى الثقافة القادمة المسماة عالمية، تختار ما تحتاج إليه لتحله محل ثقافتك التي لا تصلح للعولمة في راي الرواد العالميين في الوقت الحاضر.

ثم إن الدعوة إلى الانضواء في أطر ثقافة العولمة هي دعوة الأقوياء، يستجيب لها الضعفاء أو يكرهون عليها، وهي دعوة مغلفة بغلاف شفاف جميل عندما تكون الدنيا قرية واحدة والناس مجتمعاً واحداً، والعولمة قدراً أبدياً للجميع. لكن الغفلة عن قسمة الحظوظ في هذه القرية الواحدة؛ وإنكار الواقع الذي يعيش عليه أهل هذه القرية هما موضع السؤال. وهما محور الإجابة التي نبحث عنها ولكننا لا نجدها بسهولة وهذا يقود إلى أن ننساق مع الثقافة الأقوى المؤثرة ونتجافى عن ثقافتنا التقليدية والمحلية، متخذين الثقافة الطارئة نموذجاً

www.mtenback.com

نقيس عليه ونقارن به، وقد عالج الكثير من المثقفين المعاصرين هذا الميل الغالب على التوجه في العالم العربي إلى الثقافة ذات الأبعاد المتكاملة، وهذا أحد الباحثين المعاصرين يقول : « تعتقد النخب الاجتماعية في البلدان النامية أن الثقافة الإيجابية هي تلك التي تشجع الانطلاقة الاقتصادية أولاً وتساهم في جهود التنمية» (١).

وتكريس القطيعة الثقافية مع المحلية والقومية هو محور الجدل القائم حول العولمة وماهيتها، وصلتها بالثقافات غير الغربية، ومدى القدرة التي ستواجه بها العولمة من قبل الثقافات المختلفة بأبعادها التي تستدعي أطراف الاهتمام العالمي الجديد الاهتمام القادر المؤثر الذي نلخصه العبارة التالية : « إن الحضارة الغربية تمثل خلاصة التطور الكوني المطلق بيد أن المجموعات الأخرى ما تزال بدائية تعيش طور التوحش والهمجية والقبلية وشتى أوجه الانحلال والجهل والفقر والبؤس والتخلف.

فهل يعيد التاريخ نفسه؟ لا، فالوقائع تتغير، والأطراف تتبدل والمسوغات تتنوع ولكن الدمل التاريخي يتجدد وهذا هو الذي يمسك « بأعنقانا» إمساكًا. إن أممية سياسية وعولمة اقتصادية لابد أنهما تستدعيان الكونية الثقافية استدعاء لا يهمل انتظاراً ولا يرجىء إنجازاً والذي يزيد الباحث الثقافي حيرة فيضاعف

(١) برهان مغليون، الوعي الذاتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٩٢، ص١٠٢.

www.mtenback.com

تشتته الذهني هو ضياع سلم المرجعيات العقلانية في مستوى المنهج والنظرية» [1].

إن ما يحصل في عالمنا العربي وفي البعد الإسلامي أيضاً هو ضياع سلم المرجعيات وتشتت الرؤية التي تواجه بها الثقافة العربية الإسلامية الثقافية الغربية، أو إن شئت فقل الثقافة العالمية التي يبشر بها العصر الجديد، وهي ثقافة لا شك أنها تجاوزت إشكالية المرجعية وحلت معضلة النموذج والإطار الذي تختار مسارها الثقافي فيه، وطبقاً لذلك قد أطرت أسس العلاقة بين العامل الإرادي والعامل الظني. انتهت الثقافة الغربية، أو إن شئت تحديداً أكثر فقل الثقافة الناطقة بالإنجليزية، من ردم الهوة السحيقة التي تكونت بفعل الزمن وموروث الأسلاف، وخلصت هذه الثقافة الغربية من التراكم الكمي اذي خلفته عصور الظلام في أوروبا، وعصور الانحطاط فيها. فلم يعد هناك إشكال في تحديد الأشياء وفي تعريف الأسماء. هناك مرحلة تاريخية مظلمة سوداء صنفتها الحضارة الغربية وخلصت منها وانتقلت إلى حضارة النور وحضارة الفكر والحياة.. ولا يعني ذلك أن تاريخها الحديث لا يعرف الظلام والتخلف، لكنه يعيش حياة الواقع الذي يشرق فيه جانب فيضيء العالم ونفسه، كما يوجد فيه جانب آخر تحتله نقاط كالحة السواد، لكنه سرعان ما يتخلص من هذا السواد

(١) عبد السلام المسدي، البصيرة الثقافية الجديدة، جريدة الرياض، العدد ١٠٩٥١ في ٢٤/ ٢/ ١٤١٩هـ ١٨/ ١/ ١٩٩٨م.

www.mtenback.com

في ثقافته الحاضرة، ويربطه بتاريخه الظلامي الماضي ويرسله إليه، تاريخه الحاضر يفرز الواقع ويتعامل بوعي إشراقي جذاب، فما كان ظلاماً قاتماً إحالة إلى شكله ومثيله من التاريخ وما كان مشرقاً مضيئاً أضافه إلى حاضره المشرق، وتطلعت به إلى المستقبل. بهذا التصنيف استطاع المجتمع الغربي أن يقر في الأذهان غلبة الإشراق على الظلام في ثقافته. وقد طرد فجر هذه الأمة الغربية ظلامها، وانتشرت ثقافتها. وهي بهذا الوعي والتمييز تعامل الثقافات الأخرى، وتريدها أن تختفي في ظلها وتتبع الضوء الذي تشعه الحضارة الغربية، ولا غرو فهي مزهوة بهالتها وجاذبية العطاء المتميز فيا، ولعلها تكون على بعضت الحق حين تريد من العالم أن يتخذها مثالاً، ويسير خلفها في ركب العولمة، أو بالأصح يسير في ظلها، يحمل من ثقافته ما يمكن أن يضاف إلى نموذج الغرب الذي يسير عليهِ، ويتخلى عن كل نماذج التضاد والتعارض التي يكونها عامل الضدية في الثقافات الأخرى.

والعولمة بفتوتها وشبابها المتجدد في هذا العصر تنظر بعين الوعي للثقافات القديمة نظرة فيها مسحة الإشفاق والرحمة لها من زمانها وشيخوختها، وتعرف عجز أهلها عن التجديد فيها، ولكنها أيضاً قادرة على استقراء الحياة والواقع اذ يجعل أهل كل ثقافة يتمسكون بها ويحافظون عليها، ولهذا السبب قد تظهر مطالب العولمة الثقافية بمظهر الحياد التام في قضية

www.mtenback.com

الثقافة، ومن هذا الإحساس والظهور انتقلت إلى الحديث عن ثقافة العولمة وليست ثقافة الدولة الغالبة التي كان التبشير بها هو مفهوم العقود الماضية منذ أول القرن الذي نعيش فيه حتى الانفراج الذهني الذي أتى بالعولمة لتكون شمولية تامة للثقافة وللاقتصاد وللسياسة واللغة، بل لكل منفذ من منافذ الحياة، فالأمر عولمة التي لا تخض أحداً. لذلك يكون الاطمئنان إليها أكثر والحذر منها أقل .

إن ثقافات الأمم والمجتمعات غير الغربية تقع اليوم في ظل ثقافة العولمة وفي مدارها الطويل وتحت ذراعها الممتدة إلى الآفاق، وفي كل الاتجاهات وهو مدار ساخن، يثير كثيراً من المشكلات المتوقعة، ويؤثر أكبر الأثر على مستقبل العالم الثقافي، الذي تمد إليه العولمة ذراعاً قوية تحركها بكل مهارة واقتدار، وفي كل اتجاه تتوجه إليه الثقافات المعاصرة غير الغربية، ويعيش مثقفو العالم غلبة قاهرة، مثل كل الثقافات سواء تلك التي ستقبل الانضواء في إطار العولمة وصيرورتها أو تلك التي ستحاول الانفضاض عنها، وترفض القبول برفع شعارها.

إن بعض الثقافات ذات الفكر البشري والإرث الحضري والتميز التاريخي ستنحاز بدون شك إلى طريق غير طريق العولمة، لأنها لن تقبل الانقياد المباشر ولا الاندماج السهل، ذلك أن الثقافات لها طبيعتها التي

www.mtenback.com

تستعصي أحياناً على الذوبان، ولها قاموسها الذي يرفض المغريات، والثقافة نتاج بشري له طبيعة البشر واختلافه، وقابليته للتحدي والمصادمة أو الخضوع والانقياد.

وقد فرضت ثقافة العولمة بأبعادها السياسية والاقتصادية واللغوية سيطرتها، وخصت من التحدي المحتمل على كل الثقافات.

وهي تضع الخيارات الممكنة لهذا التحدي أمام الثقافات المغزوة، وتضع الخيارات الصعبة للتعامل مع هذا التحدي ومقاومته، ومن الخيارات المتوقعة خيار المهادنة والاستسلام، وخيار المواكبة والسير في رحاب الاتجاه العالمي أو العولمة، أو خيار الانكماش والانطواء. تلك خيارات ممكنة وقد تكون مقبولة للغرب، كما قد يكون التعامل معها على أساس الهيمنة والغلبة مقبولاً. أما الخيار الصحيح فهو خيار الموازاة والانطلاق من عقال المحلية والقطرية إلى روح الثقافة وشفافيتها ودفع عجلتها لتسير مع الثقافة الغربية موازية لها ومتحدية لغلبتها وسلطانها. إن الثقافات ذات العمق الحضاري والإرث التاريخي قادرة على التحدي وقادرة على الصمود وقادرة على الاستقلال بشرط ألا يكون المعوق لها ارتكاسها في نظرتها إلى بعدها التاريخي وموروثها الثقافي، فيكبلها هذا الموروث، ويربك سيرها، ويعطل هذا الغرث حركتها نحو المستقبل. وما نعانيه في ثقافتنا العربية الإسلامية هو ضرب من هذا الإرباك

www.mtenback.com

والتردد حيث لا نعرف بالتحديد ما نريد من موروثنا الثقافي وما نحتاجه اليوم، وما لا نريده اليوم ولا نحتاجه غداً. إن تقصيرنا بالانتقاء والاختيار هو موضع العجز الذي نعاني منه ونشعر به أمام ثقافة العولمة.

الثقافة العربية تستطيع الموازاة والسير إلى الأمام وتستطيع الإضافات الحضارية أو إن شئت فقل: إنها تستطيع الاستغناء بذاتها عن ثقافات العالم إلا ما لابد منه للثقافة والحضارة واللغة من الأخذ العطاء. لكن السؤال الذي لا نجد له جواباً صالحاً هو : متى نحدد علاقتنا بالثقافة؟ ومن أين نبدأ الحاضر الذي ندفعه للمستقبل، وكيف نفرز هذا الكم الهائل من الموروث البشري ونصطفي منه الصالح ونحافظ على ثقافتنا حية فنجعلها إناءً لما نصطفي من الماضي وما نحدث من مشاركة للمستقبل؟ إذا عرفنا وظيفة الثقافة استطعنا التعامل الصحيح مع اللغة ومع الثقافات الالمية وأخذنا مكاننا من العولمة دون أن نفقد هويتنا الثقافية، ودون أن تهتز الثوابت الصالحة للاستمرار، لكنني أكرر: إننا بحاجة إلى غربلة مورثنا الثقافي والانتقاء منه. وأخذ الصحيح الصالح وترك الإفراز الطالح.

www.mtenback.com